رواية الأجيال: مشكلة المصطلح وتكوّن النوع الرّوائيّ

أ.د. حمزة فاضل يوسف

حسن مجّاد عبد الكريم

كلية التربيّة جامعة القادسيّة

الملخص

تعد رواية الأجيال نوعاً سردياً يستلهم أصوله الفنية من نظام الحلقة التراجيدية كما قدمتها الرباعية الساتيرية عند اسخيلوس في الأدب الإغريقي في موتيف لعنة العائلة المتوارثة جيلا بعد آخر، وسلاسل المآثر البطولية لفرسان المائدة المستديرة لآداب العصر الوسيط لـ(الساجات الآرثرية)، وعلى الرغم من الاختلاف بين التقاليد الجمالية التي أسس لها بلزاك في الواقعية الفرنسيّة في روايته (الكوميديا الانسانية) فإنَّ النزوع التجريبي العلمي في المذهب الطبيعي عند زولا في (آل روغون ماكار) قد أثرى الخصائص الشكلية لرواية الأجيال في مرحلة التأسيس وما بعدها لاسيما في فكرة التصوير الكليّ للحياة العائلية ورصد حركة الأجيال في تكونها وانهيارها على وفق مبادئ الحتمية الاجتماعية في الواقعية النقدية او الصراع الطبقي في الواقعية الاشتراكية او الانتصار القومي في المثالية القومية، وقد بقي الاستغراق الزمني للتطور التاريخي في رصد مصائر العائلة موزعة بين الإفادة من العمق التراجيدي للرباعيات او استلهام فكرة الأدوار التاريخية في الملاحم الشعبية؛ لانها تشكل محورا رئيساً في البنية الجمالية لرواية الأجيال تلك التي تمتد حوادثها على مدى أجيال متتابعة من الناس تُشغَل بشؤونهم وشؤون أعقابهم وأحفادهم

process of formation، can be developed without the guidance of traditions and models) ()، hence، any cash bid is trying to dismantle the roots of the novel as a sort generations narrative inspired by the tragic episode as the Quartet Alsatirih when Aeschylus in literature Greek chains heroic exploits of the Knights of the round table of ethics Middle Ages، would pose the problem of inheritance Alhegela and post–Allokatcheh trouble in explaining the emergence of the novel and its rise and spread of expressive epic of modern times

Abstract

Belong generations novel (roman fleuve) in modern European narrative to a French field who presented a model of the relationship of the individual and the family link social determination of domestic decadence، it is a river stories chronicling the successive generations of the family of the bourgeoisie of modern life، it has been initiated in the West Balzac and Emile Zola ، then walked him Jules Roman and tended toward them Englishmen Jalzorothy and Bennett is not merely a vulnerability in this general framework and approach ()، and in the light of that it (long novel prose theme of family life across different generations، usually divided this novel into separate folders each other for the reader can be read each one separately) () and Based on this، they are inspired by the traditions of the Quartet Alsatirih epics Arthurian chains tales of the Knights of the round table; and because it (no literature، even even if in the

أولاً: المصطلح في النقد الأدبيّ:

تنتمي رواية الأجيال (roman fleuve) في السردية الأوروبية الحديثة الى المجال الفرنسيّ الذي قدّم أنموذجاً لعلاقة الفرد بالعائلة وارتباط المصير الاجتماعي بالانحطاط الأسريّ، فهي قصص نهرية تؤرخ لأجيال متعاقبة من حياة العائلة البرجوازية الحديثة، وقد بدأها في الغرب بلزاك وإميل زولا، ثم سار عليه جول رومان ونحا نحوهم من الانجليز جالزورثي وبينيت ولا يعدو أن يكون هذا التأثر في الإطار والمنهج العام[1]، وعلى ضوء من ذلك فإنها (رواية نثرية طويلة موضوعها حياة أسرة عبر أجيالها المختلفة، وعادة تنقسم هذه الرواية إلى مجلدات منفصلة بعضها عن بعض ليستطيع القارئ أن يقرأ كل واحدة على حدة)[2] وتأسيساً على ذلك، فإنها تستلهم تقاليد الرباعية الساتيرية والملاحم الآرثرية وسلاسل الحكايات لفرسان المائدة المستديرة؛ وذلك لأنَّه (لا يوجد أدب، حتى ولو كان في طور التكوين، يستطيع أن يتطور دون الاسترشاد بالتقاليد والنماذج)[3]، ومن هنا، فإنَّ أيَّ مسعى نقديٍّ يحاولُ أنْ يفكك جذورَ روايةِ الأجيال بوصفها نوعاً سردياً يستلهم الحلقة التراجيدية كما قدمتها الرباعية الساتيرية عند اسخيلوس في الأدب الإغريقي وسلاسل المآثر البطولية لفرسان المائدة المستديرة لآداب العصر الوسيط، سيجابه بمشكلة الإرث الهيجليّ ومأزق مابعد اللوكاتشيّة في تفسير ظهور الرواية وصعودها وانتشارها معبرة عن ملحمة العصر الحديث.

يعد الموروث الهيجليّ في (نظرية الرواية) [4]، على نزرته وانخراطه في المثالية الألمانية، من أخصب النظريات الكبرى في التفسير الجمالي للرواية عند لوكاتش وذريته من غولدمان حتى بيير زيما، وهو ما أنتج النظرية الأوروبية للرواية في تكويناتها التاريخية وأسسها الجمالية ومنطلقاتها الفلسفية التي تقوم على مبدأ تحولات البنية الاجتماعية من العصر الإقطاعي الى عصور مابعد الدولة الوطنية في أنموذجها البرجوازي التي كوّن الشكل الروائيّ، ويدرك هيغل (أنَّ الملحمة مرتبطة تاريخيا بطور بدائي في التطور الإنسانيّ، بحقبة الأبطال، أي بحقبة لم تكن قد هيمنت بعد على حياة المجتمع القوى الاجتماعية التي حازت سؤددها واستقلالها وانفصالها عن بني البشر)[5].

إلا أنَّ محاولة إعادة النظر بتفسير المنظور الأوروبي لنظرية الرواية لم تتم الا مع اتجاهات مابعد الحداثة بشقيها (المابعد كولنيالي) و(النقد الثقافي)[6]، فقد أصرت على تفتيت المركزية الأوروبية المتمثلة بتصوير سرديات الطبقة البرجوازية، بعد أن تفسخت قيمها وعاداتها وتصدع حلمها في امتلاك العالم، فقد (مر الجدل حول الرواية بثلاث مراحل، في المرحلة الأولى تم التأكيد على أن الرواية في أوروبا الحديثة قد نشأت عن الملحمة، وفي المرحلة الثانية، وأمام مأزق اختيار نهجها الروائي، قامت الثقافات غير الأوروبية بتبني النظرية الأوروبية للرواية، أما في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الحداثة، فإنَّ مقدمات المركزية الأوروبية أمست واهنة، فدخلت نظرية الرواية السائدة حينذاك في نفق مظلم وطفت على السطح مسألة البحث عن وفاق عالمي)[7].

تعنى هذه المقاربة بـ(سوسيولوجيا أصول النوع الأدبيّ)[8] وتشكيلاته في النظرية الأدبية المعاصرة، محاولة في تفكيك مقولات (نظرية

الرواية) في سياقها الأوربيّ، بعد أن نحدّد منطلقات الفهم النقديّ للمفهوم ومرتكزاته ومجالاته في ضوء الوقوف على معطيات الإرث الهيجليّ ومأزق مابعد اللوكاتشيّة من أجل بحث علميّ لنشوء مصطلح رواية الأجيال بتصويرها للعائلة البرجوازيّة ومآلاتها المصيرية في الصعود والانحدار، والتفسخ القيميّ، فالشرط التاريخيّ والاستجابة الاجتماعية هو ما يحدد تحولات الشكل الفني.

يستلزم الاستقصاء الدلالي للمفهوم رصداً لحياة المصطلح وتاريخه في المعجميات النقدية وتأريخ ظهور النوع الروائيّ في ضوء الأدب المقارن، وذلك من اجل أن نستخلص منها الدلالة الاصطلاحية للمفهوم وتحولاته وأبعاده، فرواية الأجيال تعرف بأنها: (رواية طويلة جداً يشترك في صنع أحداثها عدد كبير من الشخصيات المنتمية – في الغالب-إلى أجيال متعددة)[9]، وهي على وفق هذا المبدأ (رواية حديثة ترتبط بتقليد فني طويل وقديم هو الفن الملحمي، وتتخذ من الشكل الدائري إطاراً لها، وداخل تعرجات النهر الروائي تقدم دلالة شاملة، وتحليلاً نفسياً للطبائع، وتصويراً تاريخياً واجتماعياً عظيماً، وتقدم الرمزية الأخلاقية أو الفلسفية)[10] وقد جاء في الموسوعة البريطانية تعريفها على النحو الآتي: (الرواية النهرية roman-fleuve وتشير في المجال الفرنسي إلى "تيار روائي" أو "دورة روائية" وتتكون من سلسلة روائية،كل جزء مكتمل ومكتف في حد ذاته، وهو تيار يتعامل مع شخصية مركزية واحدة، او ويستكشف عصر الحياة الوطنية، أو يقدم أجيالاً متعاقبة من الأسرة الاجتماعية)، وأما في موسوعة التراث الأمريكي (romans-fleuves) فتقدم على أنها (رواية طويلة، وغالبا ما تتكون في مجلدات كثيرة، وتقدم سرداً لتاريخ عائلة على عدة أجيال في المجتمع، أو أية مجموعة اجتماعية أخرى، وغالبا ما يقدم نظرة شاملة للمجتمع خلال حقبة معينة.وتسمى أيضا رواية الملحمة)[11] وفي قاموس وبيستر العالمي فإنها تعرف بوصفها (رواية طويلة، تنحدر في أصولها عن تقاليد السرد الفرنسي، وغالبا ما تتشكل على نحو عدد من المجلدات، وتعامل مع قطاع عريض من المجتمع، وترسم عدة أجيال من عائلة واحدة)[12]، ولهذا يكون مصطلح رواية الأجيال الأكثر دقة في التعبير عن المفهوم النقدي، بعد أن ننحي عن النهرية القيمة المجازية التي تؤكد على المجرى الزمني للأحداث، ولا يمكن أن نسمي رواية الأجيال رواية انسيابية؛ لأنها قد تحيلنا إلى نوع آخر يقع مخالفاً لأعراف كتابة رواية الأجيال، فالرواية الانسيابية هي التي تعتمد على مسيل الوعي وتيار الوعي، وتضع الاستبطان السايكولوجي بديلاً عن الحس التاريخي في تغيرات الإيقاع الروائيّ ولعلّ أهم أنموذجين لهذا النمط هما (يوليسس) لجيمس جويس، و(السيدة دالاوي) لفرجينيا وولف؛ ولذلك على حين يختار بول آرون ورفاقه في معجمه مصطلح (roman family) بدلا عن المصطلحات الأخرى ويعرفها بأنها (جنيس من أجناس الرواية، تتميز الرواية العائلية بموضوعها، تقص حكاية عدة أجيال تنتمي لنفس الأسرة، وبطريقة كتابة واقعية، تولي أهمية كبرى للطقوس العائلية، ولكل ما يجعل من الرهط مجموعة تبددها علاقات تصادمية غاية في الرمزية)[13].

ثانياً: أصول النوع الروائيّ ومجالاته:

قدمت رواية الأجيال في السردية الأوروبيّة مشكلة الجريان الزمني والتعاقب التاريخيّ لحركة الأجيال وذلك من خلال الربط الجماليّ بين المصير الإنسانيّ للعائلة البرجوازية، والامتداد الزمني الذي يستغرق أجيالاً متعددة؛ ولذلك تسمى رواية الأجيال برواية الأزمان، ورواية الأكوان، فقد عني الروائيون بالخاصية الجمالية للتكوين الزمني في الرواية الحديثة بدءاً من (الحرب والسلم) لتولستوي وعبوراً نحو (البحث عن الزمن الضائع) لمارسيل بروست، وأصبحت هناك اتجاهات متعددة للتنويع في البنية الزمنية للخطاب الروائيّ من خلال قص الماضي واستذكار الأحداث عبر الراوي العليم، او الانتقالات الزمنية في الاسترجاع والاستباق، ولكن ما يميز (رواية الأجيال) هو الاستغراق التاريخيّ للتحولات الزمنية الخارجية وأثرها في البنية الداخلية للنسيج الروائيّ ومصائر الشخصيات وتكون العائلة ومن ثم انهيارها، وقد استبدلت رواية الأجيال الاستبطان السايكولوجي لرواية تكوين الشخصية بالعمق التاريخي لتحولات الأجيال، وأصبح الشعور المأساوي بالحياة معادلاً لتفسخ العائلة وانهيارها فالروائيون في هذا الاتجاه قد اهتموا (اهتماما خاصاً بالزمن التاريخي الذي يمثل المقابل الخارجي الذي يسقطون عليه عالمهم التخييلي)[14]؛ ولذلك فإنَّ الزمن القصصي في رواية الأجيال (يسير نحو المستقبل مؤكداً حتمية مصير البشرية وهي مآل الإنسان للموت)[15].

يمثل الامتداد الزمني والاستغراق التاريخي لتحولات الأجيال مرتكزاً رئيساً في تحديد الخصائص الجمالية للنوع الأدبيّ، فقد عد «رينيه ويليك « و» أوستن وارين» الزمن الطبيعيّ خصيصة من خصائص رواية الأجيال،وفي كثير من الروايات العظيمة يولد الناس ويكبرون ثم يموتون، وتنمو شخصياتهم وتتحول، بل ربما شاهدنا مجتمعا بأسره يتحول كما يحدث في قصة ملحمة عائلة فورسايت جولزورثي، والحرب والسلام لتولستوي، أو تعرض دورة الزمان لازدهار أسرة ما ثم انحدارها كما في رواية آل بودنبروك لتوماس مان، فمن تقاليد الرواية أن تأخذ البعد الزمني مأخذا جاداً[16]، ويميز ماندلاو بين الموضوع التاريخي للزمن الروائيّ والإحساس الداخلي بالشعور في الزمن في الرواية الحديثة؛ وهو تمييز يقوده الى وضع حدود جمالية بين رواية تيار الوعي كما عند جيمس جويس، وكافكا، وفرجينيا وولف، والسرد الذي يعنى بتصوير الحاضر بتعاقبه الزمني لرواية الأجيال (أما روايات الأجيال (saganovels) التي كتبها زولا وغولزويرذي فهي تعالج في جانب منها ما يعتبر مادة تاريخية ثم تتقدم حثيثا الى الوضع المعاصر)[17].

وإذا كان تاريخ الحاضر موضوعاً لرواية الأجيال في رصد تحولات العائلة؛ تمييزاً عن الرواية التاريخية التي يتحدد موضوعها الروائيّ في أحداث قد انقضت وتلاشت في التاريخ الحقيقي، فإنَّ التأرجح بين العمق الزمني ولحظة الكثافة الزمني هو المعيار الرئيس في الخصائص النوعية لرواية الحديثة بين الكثافة والامتداد؛ لأنَّ (الزمن القصصي قد يمتد عبر بضعة أجيال، كما هي الحال في ملاحم الأجيال التي ازدادت شعبيتها من أيام زولا وبطلر الى أيام مان وغولزويرذي والعديدين من مقلديهم وأتباعهم،

فالزمن القصصي قد يستمر مدى حياة كاملة كما في رواية أرنولد بينت (حكاية عجائز) أو جزء من حياة أفراد... أو يكون على مدى يوم واحد كما في رواية جيمس جويس "يوليسز")[18].

يربط والاس مارتن رواية الأجيال بتسلسلها وتعاقبها بأفق النهايات السردية وأصول صنعة الخاتمة الروائيّة كما طرحها كيرمود في كتابه (الإحساس بالنهاية)؛ لكي يحدد الارتباط العضوي بين الأجزاء المتسلسلة في رواية الأجيال قائلاً: (فقد تبدو الخاتمات مفتقرة الى النهاية بالمعنى الدقيق، فبدلا من إيقاف القصة وربط كل النهايات الطليقة بإحكام يسمح لها بالمضي الى المستقبل، ولكن هذه النهايات تخدم هدفا آخر،فهي تعيد توحيد الرواية المنفصلة عن الحياة حين تقرأ بزمان التاريخ الحقيقي رابطة إياها والقارئ بعالمنا... ولكن نهاية الرواية بالخاتمة او بوسائل أخرى، نادرا ما تكون محددة الى حد أن لا تسمح بفتحها مرة أخرى في رواية لاحقة تضم الشخصيات نفسها وتعرف سلسلة الروايات المترابطة ببعضها لذلك باسم رواية النهر-roman fleuve)[19].

ومن هنا فقد عُرفت رواية الأجيال بأنَّها (رواية طويلة تستعرض حياة أسرة بأجيالها أو مجتمع أو طائفة اجتماعية)[20]، وعلى الرغم من العنصر المجازي في صياغة المصطلح وترجمته الحرفيّة بـ(الرواية النهر)، فإن دلالاته ستبقى تختلط بالأنواع الروائية الأخرى التي نشأت في القرن التاسع عشر وتطورت في القرن العشرين، فكلمة (fleuve) تشير الى نهر متفرع وهذا المشكل اللغوي هو الذي أوقع الدكتور أحمد سيد محمد في حيرة الاختيار؛ لأنَّ دلالة الكلمة في القاموس اللغوي (تعني نهر كبير له عدة فروع، وله انسياب طويل يصب في البحر، وتستخدم في الأدب للدلالة على الانسياب والوفرة، فكان عليّ أن أختار واحدة من تلك التسميات الثلاث " الدائرية، النهرية، الانسيابية، فآثرت التسمية الأخيرة)[21]، والحقيقة أنَّ الدلالة اللغوية التي أشاعتها القواميس الفرنسيّة لا ترتبط بدلالة المصطلح الروائيّ، بقدر ما تدلّ على المعنى العام في الاستعمال؛ ومن هنا، فإنَّ مصطلح (roman fleuve) قد تولد بفعل مؤثرات علم النفس الحديث، والأساليب الموسيقية في التوزيع اللحني والنغمي؛ ففي التأثير السايكولوجي نلمس تدفق الأفكار وجريان الشعور وتحولات المصائر، وفي الأثر الموسيقى نلمس التقاسيم المتعددة للإيقاع الروائيّ في حركة الأجيال.

يبدو في الظاهر أنَّ المشكل النقدي للمصطلح الروائيّ (roman fleuve) كامنٌ في تعدد الترجمة واختلافها بين (رواية النهر) (رواية الأجيال) وهي بكل صياغاتها لا تخرج عن ان تكون تمثل قصة عائلية في تعاقب أجيالها ولكن هذا المشكل في الترجمة على أهميته في (علم المصطلح الألسني) واشتراطات تكوينه وصياغته الا أنه لا يكشف لنا سوى مقابلات لغوية ومقترحات اصطلاحية وهي تحيا فوضاها والتباسها الموحش في الغموض والتعمية؛ لتصبح، فيما بعد، على يد بعضهم خيانة للمفهوم ونكاية بأصوله الأولى؛ بسبب من الاشتطاط في الاستعمال وعدم دراية بأصول تكوينه، ولكن سياق نشوء الظاهرة الروائية وتحولات مجالها من السردية الفرنسية بمقترحاتها

الجمالية في الواقعية النقدية والطبيعية التجريبية عبوراً نحو استلهام (الساجات الآرثرية) في رواية الأجيال الانكليزية او الرباعية الساتيرية في الأدب الإغريقي، وهو تحول ينبغي أن يفهم في ضوء مكونات عناصر الرواية وتحولاتها الجمالية في السياق الثقافي والسياسي والاقتصادي من العصر الفيكتوري وصولا الى الحرب العالمية الثانية.

إنَّ تحولات الوظائف الروائية من التسلية والترفيه في سرديات المغامرة والتشرد الى المعرفة الشاملة بالحياة على أسس من تمثيلات الواقعية النقدية التي ترى في العالم الروائيّ مرآة للتحولات الاجتماعية في الواقع، هو الذي قدم لنا أنموذجاً فريداً في السردية الأوروبية الحديثة يعتمد على تشريح البنى الاجتماعية للعائلة البرجوازية ورصد مصائرها واختلالها الروحي والإنسانيّ في ضوء التجربة العلمية والموضوعية، وعلى وفق ذلك فقد أتاحت الأمانة العلمية والتجريبية المختبرية للرواية الحديثة في أن تصبح (وصفا موسوعيا شاملاً للواقع)[22]. وهو البيان الذي عملت عليه الواقعية الروائيّة.

ينحدر مصطلح رواية الأجيال (roman fleuve) في أصوله السردية الأولى من المجال الفرنسيّ، فهو مصطلح فرنسي النشأة يشير في بدايات تكوينه الى نظام السلسلة الروائية، ويحاول تصوير الحالة الاجتماعية لأسرة من الطبقة البرجوازية من خلال عدة روايات متصلة ببعضها لتقديم تقرير شامل عن الفترة الاجتماعية، وفي نهاية المطاف فإنه يستمد جذوره من مشاريع بلزاك وزولا الروائية، ولكن بلورة الظاهرة كانت تتويجا لتحولات الرواية الأوروبية في القرن التاسع عشر حتى أربعينيات القرن العشرين، وقد كانت أهم نماذجها الرئيسة التي قدمتها السردية الأوروبية في مطلع القرن العشرين عند رومان رولان (1866-1944)، جان كريستوف (10مجلدات،1905-1912)، وروجيه مارتن دوغار (1881-1958) في عائلة تيبو (10مجلدات،1922-1940)، وجورج دوهاميل (1884-1966) في روايته وقائع حياة آل باسكيه10مجلدات،(1933-1941) لتقدم بانوراما من المجتمع الفرنسي بين 1910 و1940 [23].

كانت الرواية أيديولوجيا العصر الحديث، عصر ظهور البرجوازية وتفتحها وصعودها؛ ولكنها قد تخلت عن طبقتها، بعد أن زالت شمسها، وراحت تستوعب الطبقات الصاعدة، البروليتارية، والبروليتارية الرثة، بعد أن تحسنت أوضاعهم المعاشية ووعيهم الطبقي في التعلم، ولم تعد تقدر الرواية إلا بما تهدف إليه، من خلال تصوير الإنسان أو حقبة تاريخية والكشف عن آلية المجتمعات وطرح المشكلات الراهنة[24]، وأفادت سريعاً من مبتكرات الفنون الحديثة، السينمائية والتلفزيونية ومكتسبات ثقافة الاتصال الجماهيريّ، وذلك بسبب من موجات التأثير التي سادت مع العلوم الإنسانية والتجريبية التي قدمها ماركس في التحليل الطبقي وفرويد في التحليل النفسي واينشتين في النسبية الفيزيائية وتغير الحقيقة من المطلق الى النسبي، وتهدمت العلاقات الثابتة في النمط الاقتصادي من مجتمعات ما قبل الدولة الى مجتمعات تعيد علاقة الأنظمة السياسية على نحو من التعاقد الاجتماعيّ، وقد أدى تطور

التعقيد الاجتماعي للبنية العائلية وصراع القيم الرمزية وتقاليد الموروث الأخلاقي الى ظهور ميل نحو استقصاء الحياة الداخلية للأسر البرجوازية وظهورها وتكون علاقاتها الاجتماعية والتاريخية،فـ(مع تطور الرواية الواقعية في الأدب العالمي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين برز ميلٌ لتأليف الرواية المتعددة الأجـزاء على شكل سلسلة وضع بدايته بلزاك في«الكوميديا الإنسانية» ولا شك أنَّه قد تجلت بصدور أجزائها القدرات الملحمية للواقعية، لكن لا يجوز المطابقة بينها وبين الملحمة، فلا تعتبر «الكوميديا الإنسانية «، ولا « روغون ماكار» زولا، و» جان كريستوف» رومان رولان ملاحم، بل روايات بمضامينها وبنياناتها، بعلاقات الفرد بالمجتمع وبمصير البطل فيها) [25].

وقد تغلغلت في الرواية الحديثة الايديولجيات الصاعدة مع عصر النهضة بعد الانهيار الإقطاعي وتكوين الدولة الحديثة وتقابل الأنظمة السياسية بين معسكرين (الاشتراكي) يؤسس لمذهب الواقعية الاشتراكية والبرجوازية الرأسمالية وهي تشجع الأدب الرمزيّ، فلقد لعب مفهوم الوعي الطبقي وصراع الأجيال دوراً مركزياً في الحركة السياسية والإبداع الأدبيّ وحركة التاريخ الاجتماعيّ، (ذلك ان اكتساب الوعي الطبقي من قبل فئات السكان الرازحة تحت نير الاضطهاد هو الشرط الاول لكل تحويل ثوري للنظام الاجتماعي القائم ونعني بذلك بلا لبس وبكل وضوح ان البشر لابد ان يتغيروا تحت تأثير العمليات الاقتصادية والاجتماعية حتى يكون في مستطاعهم انجاز عمل كبير كالثورة) [26].

أجريت تغييرات كبرى على الرؤية الروائية للعالم سواء في التجربة الاشتراكية عشية انهيار الشيوعية اللينينية او في انتصار الرأسمالية الكبرى بعد سقوط جدار برلين، وعلى الرغم من أن البدايات قد شكلت نواة التأسيس الا أن النهايات قد أعادت النظر بمجمل العلاقة المعقدة بين المنظور الفني والرؤية الفكرية، وبين جماليات التعبير الروائيّ وشرائط تكوين السياق الاجتماعيّ، إذ لم تبرز الخطوط الأولى لدراسة جماليّة شاملة عن الرواية إلا مع الفلسفة الكلاسيكيّة الألمانيّة بفلسفتها المثالية، حيث أُدرجت بصورة عضويّة في مقولات الأشكال الجماليّة لبنية العلاقة الاجتماعية بالنوع الأدبيّ، وخلال تلك الحقبة التاريخية بالذات بدأت تتسرب من جديد التعليمات العمليّة لكبار القصاصين حول ممارساتهم الخاصة في الكتابة وتأملاتهم حول علاقة الفن بالحياة، وطبيعة الأشكال الفنية وتمثيلاتها للواقع الاجتماعي والسياسيّ، وقد انطوت على معاني نظريّة أكثر عمقاً من خلال شهادت ولتر سكوت، وغوته، ومن ثم رؤى بلزاك وفلوبير وزولا، ففي تلك الحقبة تم وضع مبادئ نظرية الرواية (2728).

شكلت تجارب ماركس في التحليل الاقتصادي والمادية التاريخية في الصراع الجدلي الطبقي بين البنى التحتية والبنى الفوقية مرتكزاً في تحول مركزية الانسان، ومن ثم سيطر ذلك في الجانب اللاوعي من الشعور في اتجاه التحليل النفسي عند فرويد وأتباعه فأصبحت اتجاهات الرواية الحديثة تتكون بين النزوع السايكولوجي والحس الاجتماعيّ، فقد أشادت العلوم الحديثة بـ(أهمية ما هو أدنى، الجماهير عند ماركس والغرائز عند فرويد والذرة

في علم الفيزياء الحديث، وأصبحت رموز ومقومات ما هو في مرتبة أعلى – الارستقراطية، ورأس المال والعقل والمادة – تظاهراً وأقنعة،وكان لابد لهذه الظاهرة أن تفسح الطريق حتى تستطيع الجماهير على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والغرائز على الصعيد النفسي السيكولوجي والذرات على الصعيد المادي أن تجد لنفسها مكاناً وتعبر عن إرادتها)[29]، وبذلك فقد قدمت الرواية الحديثة صلة مبكراً بروح العصر ومبتكرات الثورة الصناعية، وصورت طبيعة الانسان واغترابه على المستوى الاجتماعي والروحيّ، فمن اغتراب (الأب غوريو) لبلزاك الى هواجس (إيما بوفاري) في (مدام بوفاري) لفلوبير أصبح الشعور بالموت قوة مهيمنة في بنية الصراع الروائيّ، ثم وصلت الرواية الحديثة في محطاتها التاريخية أخيراً إلى نهاية عصرها بإعلانها عن أفول المعنى الإنسانيّ في التجربة الجمالية، حين تخلت عن الانسان لصالح شحوبه وهواجسه وملذاته وغرائزه، وأعلنت عن موته بتجريده من عمق الفيض الروحي وملامح البعد الاجتماعي والوجدانيّ، لاسيما في تيارات مابعد الحرب العالمية الثانية، تيار اللامعقول ومن ثم جماعة الرواية الجديدة في فرنسا[30].

الهوامش

1 - ينظر: في النقد التطبيقي والمقارن، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: 28-27. وينظر: الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة،بيروت، د.ط،د.ت:246.

2 - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان ، ١٩٧٤ : ٤٩٤

3 - الانعكاس والفعل: ديالكتيك الواقعية في الإبداع الفنيّ، هورست ريدكر، ت: فؤاد مرعي،دار الفارابي، بيروت، دار الجماهير، دمشق، ط1 21، 1977: 164.

4 - لمزيد من المراجعة النظرية للأسس الفلسفية ينظر: علم الجمال عند لوكاتش، د. رمضان بسطاويسيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991: 207-206.

5 - الرواية كملحمة بورجوازية، جورج لوكاتش، ت:جورج طرابيشي،دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، بيروت، 1979: 29. نظرية الرواية وتطورها، جورج لوكاش،ت: نزيه الشوفي، دمشق، 1987: 20.

6 - للاستزادة حول اتجاهات مابعد الحداثة ومشاريعها في إعادة النظر بمرويات التأسيس الكلاسي للسرديات ينظر على نحو التمثيل: النظرية في الممارسة: مدخل الى النقد الأدبيّ، آن.ب دوبي، ت: مجدي كبة، منشورات كلمة، أبو ظبي، ط1، 2011: 362 367-. مابعد الحداثة، سيمون مالباس، ت: د.باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، ط1، 2012: 28-25.

7 - الأدب الأوروبي من منظور الآخر، فرانكا سينوبولي، ت: مجدي يوسف، فوزي عيسى، حسين محمود، سيد الشيخ، مر: مجدي يوسف، المشروع القومي للترجمة (1083)، القاهرة، ط1، 2007: 231. وللزيادة في مسألة (نشأة الرواية الأوروبيّة) ينظر: الرواية كملحمة

برجوازيَّة، جـورج لوكاش: 25- 28، 52، وظهور الرواية الانكليزيَّة، آيان وات: 6، وقضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي،باختين: 158.

8 - ينظر: سوسيولوجيا الفن، ناتالي اينيك، ت: حسين جواد قبيسيّ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011: 42 43-.

9 - الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب، أحمد سيد محمد، دار المعارف، القاهرة، 1985: 13.

10 - الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب، أحمد سيد محمد: 35-33.

11 - The American Heritage® Dictionary of the English Language، 5th edition Copyright © 2013 by Houghton Mifflin Harcourt Publishing Company. Published by Houghton Mifflin Harcourt Publishing Company. All rights reserved.

12 - Webster›s New World College Dictionary Copyright © 2010 by Wiley Publishing، Inc.، Cleveland، Ohio.

13 - معجم المصطلحات الأدبية، بول آرون، دينيس سان جان، آلان فيالا، ت: محمد محمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012: 563 564-.

14 - بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم: 64.

15 - المصدر نفسه : 66.

16 - ينظر: نظرية الأدب، رينيه وليلك واوستن وارين،ت: محيي الدين صبحي، مر: حسامك الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، دمشق، 1972: 279، وينظر: نظرية الأدب، رينه وليك واوستن وارن، ت: د. عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 1992: 296.

17 - الزمن والرواية، أ.أ.مندلاو، ت: بكر عباس، مر: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997: 111.

18 - الزمن والرواية، أ.أ.مندلاو، ت: بكر عباس: 85-84.

19 - نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ت: حياة جاسم محمد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998: 108.

20 - المورد الحديث قاموس إنكليزي – عربي، د.منير البعلبكي، رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت: 1005. وينظر: الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب، أحمد سيد محمد: 28.

21 - الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب، أحمد سيد محمد: 33.

22 - تطور الرواية الفرنسية من بلزاك الى الرواية الحديثة،موسوعة أونيفر ساليس، ت: عطية كيالي، الآداب الأجنبية، دمشق،ع70، يناير 1992: 171. وينظر: الـروايـة الحديثة: الانكليزية –والفرنسية، بول ويست، ت: عبد الواحد محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1986،2: 11- 12.

23 - The Oxford Companion to English Literature، Margaret Drabble، Oxford University Press: 869

24 - تاريخ الرواية الحديثة، ر. م. ألبيريس،ت: جورج سالم، منشورات نجم المتوسط، بيروت – باريس، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط2، 1982: 22.

25 - الواقعية النقدية في الأدب، س.بيتروف، ت: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012: 253.

26 - ما الوعي الطبقيّ؟: نحو علم نفس سياسيٍّ للجماهير، ويلهلم رايش، ت: جورج طرابيشيّ، دار الطليعة بيروت، ط2، 1979: 16.

27

28 - ينظر: الرواية كملحمة بورجوازية، جورج لوكاتش،ت:جورج طرابيشي: 27.نظرية الرواية وتطورها، جورج لوكاش،ت: نزيه الشوفي: 17.

29 - القصة في الأدب الانجليزي من "بيوولف" حتى "فينيجانزويك"، د. طه محمود طه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت: 135. وينظر: حيرة الأدب في عصر العلم، عثمان نويه، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969: 72-71. مابعد الحداثة، سيمون مالباس، ت: باسل المسالمة: 100-99.

30 - ينظر في تحولات الرواية الاوروبية مساهمات ناتالي ساروت، وفرجيينا وولف في: عصر الشك: دراسات عن الرواية، ناتالي ساروت، ت: فتحي العشري، المشروع القومي للترجمة (335) القاهرة، 2002: 13 14-. القارئ العادي، فرجينيا وولف، ت: عقيلة رمضان، مر: د.سهير القلماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971: 151 153-.

المصادر:

- الأدب الأوروبي من منظور الآخر، فرانكا سينوبولي، ت: مجدي يوسف، فوزي عيسى، حسين محمود، سيد الشيخ، مر: مجدي يوسف، المشروع القومي للترجمة (1083)، القاهرة، ط1، 2007.
- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة،بيروت، د.ط،د.ت.
- الانعكاس والفعل: ديالكتيك الواقعية في الإبداع الفنيّ، هورست ريدكر، ت: فؤاد مرعي،دار الفارابي، بيروت، دار الجماهير، دمشق، ط1 21، 1977.
- بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، دار التنوير، بيروت،1984.
- تاريخ الرواية الحديثة، ر. م. ألبيريس،ت: جورج سالم، منشورات نجم المتوسط، بيروت – باريس، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط2، 1982.
- تطور الرواية الفرنسية من بلزاك الى الرواية الحديثة،موسوعة أونيفر ساليس، ت: عطية كيالي، الآداب الأجنبية، دمشق،ع70، يناير 1992.
- حيرة الأدب في عصر العلم، عثمان نويه، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969.
- الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب، أحمد سيد محمد، دار المعارف، القاهرة، 1985.

الرواية الحديثة: الانكليزية –والفرنسية، بول ويست، ت: عبد الواحد محمد، دار الشؤون الثقافية العامة،

بغداد،ط1986،2.

- الرواية كملحمة بورجوازية، جورج لوكاتش، ت:جـورج طـرابـيـشـي،دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، بيروت، 1979.

الزمن والرواية، أ.أ.مندلاو، ت: بكر عباس، مر: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997.

سوسيولوجيا الفن، ناتالي اينيك، ت: حسين جواد قبيسيّ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011.

- عصر الشك: دراسات عن الرواية، ناتالي ساروت، ت: فتحي العشري، المشروع القومي للترجمة (335) القاهرة، 2002.

- علم الجمال عند لوكاتش، د. رمضان بسطاويسيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991: 206-207.

- في النقد التطبيقي والمقارن، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

- القارئ العادي، فرجينيا وولف، ت: عقيلة رمضان، مر: د.سهير القلماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971.

- القصة في الأدب الانجليزي من "بيوولف" حتى "فينيجانزويك"، د. طه محمود طه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت

مابعد الحداثة، سيمون مالباس، ت: د.باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، ط1، 2012.

- ما الوعي الطبقيّ؟: نحو علم نفس سياسيٍّ للجماهير، ويلهلم رايش، ت: جورج طرابيشيّ، دار الطليعة بيروت، ط2، 1979.

- معجم المصطلحات الأدبية، بول آرون، دينيس سان جان، آلان فيالا، ت: محمد محمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان ، ١٩٧٤.

المورد الحديث قاموس إنكليزي – عربي، د.منير البعلبكي، رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.

- نظرية الأدب، رينيه وليلك واوستن وارين،ت: محيي الدين صبحي، مر: حسامك الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، دمشق، 1972.

نظرية الرواية وتطورها، جورج لوكاش،ت: نزيه الشوفي، دمشق، 1987.

- نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ت: حياة جاسم محمد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998.

- النظرية في الممارسة: مدخل الى النقد الأدبيّ، آن.ب دوبي، ت: مجدي كبة، منشورات كلمة، أبو ظبي، ط1، 2011

- الواقعية النقدية في الأدب، س.بيتروف، ت: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012.